مفكرة

بقلم يوسف صلاح

هناك .. لا يمكن ان تكون الشيئا واحدا !

هنا ، خارج غزة ، تستطيع اذا شئت ان تكون كل شيء ! تستطيع ان تنتسب لاي شيء ، لليمين او لليسار ، او للاثنين معا.

تستطيع ان تكون « ماركسيا ـ لينينيا »، او فرويديا ، متطرفا او معتدلا ، مسؤولا او متهربا من المسؤولية ، ذكيا او غبيا او الاثنين معا . بسيطا او معقدا .

واذا اردت ، تستطيع ان تقيم عراكا مع الحياة ، او ان تدعها تمر كما هي.. تستطيع ان تكون مسمارا ، او قشة ، شيئا او لا شيء ..

.. باختصار ، تستطيع هنا خارج غزة ، ان تكون الشيء الذي تريده بسهولة، وبشق النفس ترضى ان تضحي بذاتك من اجل الصالح العام !

ولكن ، هناك في غزة ، لا تستطيع الا ان تكون شيئا واحدا ، ضمن دائرة من القيم المحددة المعالم . قيم تحس انهاعامة ، لك ولكل الناس ، قيم النضال التي تشكل مجموعة مبررات وجودك ، وغايتك في نهاية المطاف ان تفرض ارادتك وتنتزع حريتك.

لن ترفض ، هناك ، ان تكون ضحية تقدم على قربان الثورة . الاحساس بالموت لهطعم اخر هناك ، يستمد اصوله من الحماس المتعارف عليه بين الشعوب الفقيرة ، المحتلة، المستثمرة ، الذي يمنحك سبب وجودك .

في غزة لا يمكن الا ان تحيا حياة الابداع في النضال ، حياة بكل معنى الكلمة تتنشق الانتصار فيها ، تخلق الخصب في كل شبر من ارضها وفي كل ذرة من ترابها ، وعند كل منعطف ، على ارضها الحمراء ، تقسم بالدماء كل صباح على انتزاع الفجر والنور لوادي الزيتون الحزين ، وعبر الربح تبذر حبات القمح في ملاعب مدارس حي الرمال.

في غزة ، لا يمكن الآن تكون شيئا واحدا، وتعيش ، او تكتفي بالعيش مرة واحدة ترسخ فيها الاعتقاد بالفلاحين الذين يستنزفون دماءهم حتى الموت لتحقيق الانتصار الذي يلهب فيهم الاحساس بالحياة .

هناك، لا تستطيع الا ان تحيا في «كومونة» اساسها الاقتصادي السعي الحثيث لزيادة نسبة الخسائر في صفوف العدو ، اساسها الايديولوجي الايمان بقانون البندقية الذي ينتزع لك القوة والسيادة ... والحرية . واساسها الحضاري التسلح والتسلح والتسلح بالتنظيم البروليتاري والبندقية والانتصار .

هناك ، في غزة ، لا تستطيع الا ان تكون فدائيا حاد الذكاء ملتصقا ببندقيته التي علمته كيف يرفض « الامر الواقع » . حاد الذكاء ، يعرف كيف يصنع من حياته عملا عسكريا يدوم من بعده في اذهان الاخرين « حادي الذكاء » الذي ظنوا الجمل من حياتهم عملا دبلوماسيا ... بطولة !فدائيا ، حاد الذكاء ، اهتمامه في البندقية يفوق اهتمامه بالحياة التي يعيش فيها غريبا .

هناك ، التشبث بالبندقية يعني «التعقل والحكمة وبعد النظر ... والدبلوماسية ان شئت » ! والاندفاع للتشبث بالبندقية ، هناك ، يعني انك متشبث بطلبك الذي لا تريد ان (تنساه) او تتنازل عنه ، بل تريد ان تمتلكه امتلاكا كاملا ، تريد ان تسيطر عليه سيطرة تامة : حقك في الوجود حرا .

الحرية ، هناك ، حرية العمل والتفكير والتخطيط ، لا تطلب ولا « تستدعى » ولا تاتي « بالجباية » ! انها المقدرة على الفداء. مقدرة على الفداء تموت بفعلها سلاسل السادة ذات الوجهين : الذهبي والحديدي.

هناك لا تستطيع ان تكون الا شيئا واحدا ، فدائيا ، يتمتع بكل نبل حقيقي... ويتمتع بكل ما يبدع : يستمد مباهجه ومسراته من الثورة الحقيقية التي يعيشها ، ثورة تهدم وتدمر كل التصعيدات البربرية ـ الفاشية للعدو .

هناك ثورة لا يمكن ان تكون غايتها الا غاية اخلاقية ... ولا يمكن ان تكون نتائجها الا نتائج ايجابية .

هناك ، لا تستطيع الا ان تكون فدائيا .

السعودية : تحب ولا تحب !

«السعودية لا تحب بكين» . جملة اخبارية وليست سرا من اسرار الدولة السعودية ، هم قالوا ذلك ، رجالاتها في هيئة الامم ، وقالوه بلغة دولية شائعة وبتهجئة تاكدوا من صحتها قبل دخولهم قاعة الشعوب كلها ، بما فيها الشعوب الصينية .

قالوا انهم يحبون تايوان ، ومغرمون بذلك الرهان الذي اسمه تشن كاي تشك ولا يحبون ذلك الملحد الذي لا يجيد سوى لعب البنك بونك .

عجيب امر الدولة السعودية ! من شيمتها مصالحة الناس حين تقع الخصومة بينهم ، ومن شيمتها انها لا تعرف مكروبا الا وفرجت كربته . ومن شيمتها ان لا تتردد امام الحق وتؤدي واجبها كاملا تاما لتنام قريرة العين... ولكن لماذا لا تحب بكين ؟ وبكين هي الحق ! ربما لانها لا تحب التغيير وتفضل الاشياء كما هي دون قلب !

ماذا نفعل ، نحن العرب ، لو قررت السعودية مقاطعة هيئة الامم المتحدة لان بكين ستكون هناك ؟!

ماذا نفعل لو ان الدولة السعودية قررت عدم معاقرة السياسة وراء كواليس الامم المتحدة ؟!

نطالبها بانشاء « هيئة امم » جديدة بزعامتها وعضوية تايوان وسمقط وقطر ... وبذلك نكون قد حققنا السيطرة السياسية على العالم .

عجيب حب الدولة السعودية ، فهي تحب ما لا يحب العرب ، ولا تحب ما يحب العرب!

انا اعرف مستر كيركوود

مستر كيركوود رئيس الجامعة الامريكية في بيروت انسان عميق يتكلم بوقار النموذج الامريكي وبيساطة الرجل الشبعم وهدوء رجل مجرب ومحترف ، ولكنه احيانا يخطيء ـ جل من لا يخطيء ـ احيانا يعتقد ... ويعتقد بطريقة مقلوبة .

فمثلا فهو يعتقد ان لا مسالة تستوجب الاضراب والمظاهرة واقفال (النايسلي)... واذا اضرب الطلاب عنده ، من اجل مطالب عادلة تتعلق بهم وبمستقبلهم مباشرة تصبح المسالة مسالة سياسية تبعث الامتعاض في نفسه . واذا اضربوا وتظاهروا من اجل اعادة ٢٢ مفصولا ـ لاسباب شريفة وليس لاسباب تتعلق بكمية الذكاء او بالعجز عن الاستيعاب او بالفشل في التركيز ـ فانه يزعل منهم ويحذرهم ويحاول ان يقنعهم بانهم لا يستطيعوا ان يقوموا بثورة .

واذا طالبوا باقالته من رئاسة الجامعة الامريكية يقول « انهم انانيون ... ولكني استلطفهم » !

استاذ لطيف !

بكل بساطة يتحدث هذا الاستاذ عن مهمته في مركزه ، فهو يعتقد ـ ايضا ـ ان مسالة تنمية افكار الامريكان وبثها على ارض الجامعة ومن على شرفاتها ، الى ما شاء الله ، لا يجب ن يتجاهلها اي شاب او فتاة ، حتى لو حضرت الى الحرم الجامعي حافية القدمين ... الكل يجب ان يعتقد كما يعتقد مستر كيركوود !

واذا حاولت ان تناقشه في (معتقداته) هذه ، فهو ينصت اليك ويتصنع الاهتمام، يهز راسه متصنعا تفهم وجهة نظرك ، يهتز على كرسيه متصنعا الانسجام معك، ولكنك فجاة تنتبه الى طريقته في مسك الكرسي ، يمسك به على طريقة الملوك ، حتى لو حاول اخفاء ذلك ... انت ستلاحظه .

وعندما تخرج يحدق اليك من الخلف . تحس بذلك ، وتحس ايضا ان الحياة معه غير معقولة .

وايضا .. فهو يتميز بعناد موصوف منسجما مع طينته ، اذا اخبرته ان الوضع غير الطبيعي في الجامعة لا بد ان يكون من نتائج اخطائه يسرع في الاجابة ، بالدفاع والهجوم معا ، اني لا افهم ما معنى هذا ؟ انه تخريب ، طيش ، تحريض ، وفي احسن الاحوال : سوء تقدير وعدم ادراك .

« الثورة » لا تعني شيئا بالنسبة لمستر كيركوود ، وبالنسبة لهم تعني ان الدراسة ستكون جميلة وممتعة ومفيدة .

مستر كيركوود ، رئيس الجامعة الامريكية، لا يؤمن الا بالتكنولوجيا والتقدم والمبتكرات الحديثة ، واذا قدر لك وهمست في اذنه بالمعادلة التالية : فنينة البيبسي كولا ـ البندقية في بعض الحالات ، فانه سيكشر في وجهك وينهرك ـ على اساس انك انت من تحت ـ ويامرك بالكف عن المزاح الثقيل. (ملاحظة : فنينة البيبسي خالية من المولوتوف المعروف جماهيريا) .

ارجو ان لا يزعل مستر كيركوود ... لاني لا اعرف غير هذا الامريكي !

هكذا يفضلونها .. رخيصة !

« الهدف » تكاد تكون الصحيفة الوحيدة التي تتابع الثورة في فلسطين المحتلة ، وخاصة في غزة ، خطوة بخطوة . وركزت جهودها الاعلامية على نقل اخبار الثورة هناك وعلى تقديم التحليلات والابحاث ونشر التقارير التي تصلها من داخل الارض المحتلة ، التي تحمل تفاصيل العمليات العسكرية التي ينفذها الفدائيون ضد المؤسسات الاسرائيلية ...

الاعلام العربي ، لاسباب غبية جدا ، او لاسباب استراتيجية جدا ، يتجاهل كل هذه التفاصيل والتقارير والاخبار اذا كان مصدرها «الهدف» الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

الانه لا يريد ان يقوم باعمال « الدعاية » للجبهة الشعبية ! (معظم عمليات الداخل نفذها ثوار الجبهة) . ام لانه مرتبط باستراتيجية القضاء على الثورة الفلسطينية واطفاء شعلتها ؟

في نهاية الشهر الماضي عقد متحدث عسكري اسرائيلي مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن اعمال الجبهة الشعبية (التخريبية) وعن اعتقال ٢٠ من عناصرها التي وصفها بانها نشطة ... سمى عدة عمليات نفذها ثوار الجبهة ، وذكر ان ثوار الجبهة الشعبية وجهوا عدة ضربات للطيران الاسرائيلي في مطار اللد ، وتحدث عن يوم الباصات (وبطيخ) المغولة ، نشرت تفاصيل هذه العمليات « بالهدف » .

في حينه لم تنشر ولا صحيفة عربية هذه التفاصيل .. وبالطبع ولا اذاعة ، بل اكتفت بعض الصحف بذكر ما اعترف به المتحدث العسكري الاسرائيلي مع حذف اسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

السؤال : من اين يستمد اعلامنا العربي اخبار الثورة الفلسطينية ، من بيانات الثوار وبلاغاتهم ام من المتحدث العسكري الاسرائيلي ومصالحه ؟!

شعبنا العربي طيب ... وذكي !

لحظة !

« ... وساشرح لكم ، ايها الاصدقاء اللطاف ، لماذا حلت بكم هذه المصيبة : لانكم تتعلمون عن ظهر قلب ، وتحفظون ، شعارات الثورة ، اكثر بكثير مما تتاملون فيها ... »

« لينين »

المختارات المجلد ٢ ج ٢
ص ٣٠٦

هل يعقل ان تكون الثورة مجهولة !

لا احد ينكر ان لدى الاستاذ سليم اللوزي ، صاحب مجلة الحوادث ، رغبة بطولية للشهرة له ولجلته الدائمة الصيت ، على اساس ان الاخبار التي يقدمها صحيحة دائما ، من ناحية، وباعتبار المصادر التي يستقي منها الاخبار « ثقة » من ناحية اخرى ، والتحليلات والاستنتاجات التي يتوصل اليها تشبه اليقين الى حد بعيد من ناحية ثالثة ، ومن ناحية رابعة فلدى الاستاذ اللوزي احساسا طيبا لقول الحقيقة! لنسمع ما يقوله في عدد الجمعة ٥ تشرين الثاني وتحت عنوان « كيف لا نهزم ؟ » :

« ان العملية الفاشلة التي تعرضت لها باخرة الشحن الاسرائيلية « كورال سي » عندما هاجمتها زوارق مجهولة من باب المندب ـ وقيل ان الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي التي اقدمت عليها .. »

بعد هذا الكلام الدمشي ، ماذا استطيع ان اقول عن رغبة الاستاذ اللوزي البطولية في الشهرة له ولجلته الموقرة ؟!

هل القنابل التي تتدحرج يوميا على دوريات العدو في غزة قنابل مجهولة ؟!

هل المتفجرات المتبخرة في احياء مدن فلسطين الرئيسية مجهولة ؟!

هل الصواريخ التي تطلق على المستعمرات الاسرائيلية مجهولة ؟!

هل الثورة مجهولة ؟!

على كل حال ، يبقى في كلام الاستاذ اللوزي شيء اساسيا واحدا ، قد يعرقل تحقيق رغبته البطولية للشهرة له ولجلته الموقرة وهو : التشكيك .

وعلى كل حال ، يبقى ما قاله الاستاذ اللوزي تجربة له ولضميره... ولنشاطه الخلاق!